السماوي تاجر العسل والتكفير أيضًا

طه السماوي، كان أستاذًا لخالد الإسلامبولى، وسببًا في انتمائه لتنظيم الجهاد، ومن ثم اغتياله للسادات.

لم يؤثر طه السماوي في خالد الإسلامبولى فقط، بل أثر على جيل كامل، وأنا شخصيًا ما رأيت شخصًا كان له تأثير على شباب الجماعات الدينية من حوله بقدر تأثيره، لكنه تأثير على البسطاء،ومنعدمي الثقافة الدينية، والمتحمسين من الشباب، حيث كان يأخذهم بتواضعه، وجزالة ألفاظه، ولغته العربية الفصحى التي يصر على التحدث بها.

كان السماوي يصر على التفرد بلبس جلباب قصير، في أعلاه جيبان، وعلى رأسه ذؤابة يتدلى نصفها على ظهره من الخلف، وفى الفترة من ٧٤ وحتى ٨٤ كان هو المنبع والأساس والشيخ لكل الجماعات الدينية، تكفيرية أو مسلحة، ولعل الجماهير المصرية ما تزال تذكر برنامج ندوات للرأي، الذي كان يعرض النقاشات التي تجرى في السجون، عقب مقتل السادات، مع قادة الجماعات الإسلامية،

وكان هو من يتصدى لعلماء الأزهر، وفى مرة حين عجز عن الرد، قال (لقد ضحكتم علىّ.. وجئتم بى إلى هنا لتستهزئوا بي).

طه أحمد السيد، هو طه السماوي، لكنه غير اسمه في السجن ليصبح عبد الله السماوي، ولد عام ١٩٤٦ ببلدة درنكة، بمحافظة أسيوط في صعيد مصر، وانتقل مع أسرته للحياة في القاهرة، واستقر به المقام في منطقة عابدين، وعمل فيها تاجرًا للعسل.

كان آخر مرة أرى فيها السماوي عام ٢٠٠٦ في أحد المساجد بمنطقة عابدين، كان يخطب الجمعة وهو جالس على المنبر، بعد أن أخذت السمنة منه مأخذها، وبلغ المرض منه منتهاه.

وما زلت أذكر في مرة، حين جاء إلى قريتنا بصحبة عبد الرحمن محمد لطفي، ابن خالة خالد الإسلامبولى، وأمير جماعة السماوي بالمنيا، ليحصل على بيعة عدد من الشباب للعمل في جماعته، كان يتحدث اللغة العربية بطلاقة، ولف ودار، لكي يثبت أن الجماعة مثل الشجرة، وأنها بغير أمير، فسيصبح كل عمل هباءً منثورًا، فقلت له: إن هؤلاء الشباب أغلبهم من عناصر الجماعة الإسلامية، فرد بغض: إن خالد الإسلامبولى تلميذي، وناجح إبراهيم تلميذي، وكرم زهدي تلميذي، كلهم تلاميذي، أنا من ربيت هؤلاء لكنهم خانوني وغدروا بي ونقضوا بيعتي .

السماوي كان يؤمن أن البيعة شرط من شروط الانضمام لجماعته، وكان يعتبرها واجب شرعي، وناقضها فاسق منافق، لا تجوز الصلاة

خلفه، لذا ففي يوم أم الصلاة بمسجد التوبة بالمنيا القيادي جمال علم الدين، فشده أبو السمح عبد الرحمن محمد لطفي ، ومنعه من إكمال الصلاة، لأنه ترك الجماعة وانشق، فاشتعلت المعركة، التي على إثرها انصرف المصلون ولم يتم استكمال الصلاة!!.

من حسن حظي أنني قابلت عددًا من أتباع عبد الله السماوي، إذ كان مركز جماعته الرئيسي، هو زاوية صغيرة على الترعة الإبراهيمية، قبل عام ٨١، أطلق عليها (مسجد الغر المحجلين)، كان يعطى الدروس في هذه الزاوية، وكان في هذه الفترة يحرم التعليم، ويحرم العمل في البنوك، وقابلت أحد أتباعه، وكان طالبًا بالطب، وقد تسبب الرجل في عدم إكمال تعليمه بكلية الطب، وهو الآن يعمل في ورشة للنجارة، وآخر يعمل بائعًا للعسل، وآخر عمل بسوق الخضار، واستقر المقام به أخيرًا في مدينة ٦ أكتوبر، يبيع الطماطم في محل خاص به!!

قال لي عضو من أتباعه (ج. ع. ا) إن السماوي كلفه أن يكون أميرًا للبذل، فقلت له وما البذل؟!! قال أى جمع اشتراكات شهرية من الأعضاء تبذل في سبيل الله، كنا نجمعها ونقدمها للشيخ طه (عبد الله) السماوي، وكان هو كلما جلس مع أى أحد طلب بيعته، وحينما يبايعه نسجل اسمه في كشكول، وفى النهاية يأخذ الشيخ الكشكول وتأتى الشرطة لتأخذه وتسجن كل هؤلاء بسهولة.. ولذا فقد أضاع مستقبل المئات.

أخبرني آخر، (م.ن) أن السماوي دعاهم فجأة قبل اغتيال السادات،

أن يهجروا بيوتهم، ويذهبوا إلى أرض الصالحية، يستصلحوها ويعيشون فيها، من أجل أن يشكلوا مجتمعًا بعد ذلك للمؤمنين، يغير على الدولة الجاهلية، ويقيم دولة الإسلام!!

إنها نفس أفكار شكري مصطفى، الحكم بجاهلية المجتمع، والهجرة منه إلى أرض فلاة نقية، فالسماوي كان رفيق مؤسس التكفير في ليمان طرة، والقصة من بدايتها، أن طه فشل في الحصول علي الثانوية العامة، ولم يكمل دراسته الجامعية، إذ اعتقل عن عمر لا يتجاوز ١٥ عامًا، وبعدها بحوالي ٤ سنوات اعتقل مجددا في عام ١٩٦٦، واتهم بالانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين، وظل معتقلا لمدة خمس سنوات، وتفسيري أنه كان يحرم التعليم بسبب هذا الأمر.

التقى السماوي خلال تلك الفترة بقيادات من الإخوان، ومنهم محمد قطب شقيق سيد قطب، وحسن الهضيبي، ومصطفي مشهور، وكان يجلس دائمًا إلى شكري مصطفى، بسبب سنهما الصغير المتقارب.

في هذه الآونة، وقع أمر دفع شكري والسماوي أن يبغضا جماعة الإخوان المسلمين، وهو أن عبد الناصر استطاع أن يضحك على الإخوان، ويقول لهم إنه كان سيفرج عنهم، لولا أن سيد قطب قام بعمل تنظيم لقلب نظام الحكم، ولما حكم على قطب بالإعدام وتم تنفيذ الحكم فيه كبر عناصر الجماعة، وأخذوا يهتفون، فانقلب السماوي وكانت هى البداية التي أعلن فيها من السجن انشقاقه عليهم.

تأثر السماوي بالشيخ على عبده إسماعيل، وبأفكار التوقف والتبين،

ثم خرج من المعتقل وعمل في تجارة العسل وبدأ ينشط ويكون جماعته، وقد تولى بنفسه تثقيف أعضائها، وكان له كتابان الأول هو "الفيض السماوي لطه السماوي"، والكتاب الثاني هو «من معالم دعوتنا».

كانت أهم أفكار السماوي هى: تكفير الحاكم، ووجوب الخروج عليه لإسقاط واعتبار أن مصر دار كفر لا تعلوها أحكام الإسلام، والجهاد من أجل قتال الكفار، والبغاة، لإقامة الدولة الإسلامية، واعتزل أفراد التنظيم المجتمع.

كان السماوي عقب أن سيطرت الأوقاف على مسجد الغر المحجلين، يرفض الصلاة في المساجد، ويعتبرها كلها مساجد ضرار، وأذكر أنه كان يؤم الناس للصلاة في مسجد مساعده عبد الرحمن محمد لطفي.

كان من المفترض أن يكون السماوي هو زعيم الجماعة الإسلامية، إلا أن اعتقاله جعلهم يبحثون عن رمز غيره، ووقعوا على عمر عبد الرحمن، وعقب الإفراج عن المعتقلين في بداية عصر حسنى مبارك عادت الجماعة الإسلامية للعمل، وخفتت أضواء جماعة السماوي، وكان أفرادها يعدون على أصابع اليد الواحدة.

حاول السماوي إعادة بناء جماعته من جديد، إلا أن تنظيمه كان قائمًا عليه وحده، وعلى تحركاته وأفكاره، وكان سنه وصحته في السنوات الأخيرة لا يساعدانه على ذلك، فضلًا عن أن كبار مساعديه في الجماعة انفصلوا وانشقوا عنه، وانضم اغلبهم إلى الجماعة الإسلامية في الصعيد.

انتشر باقي جماعة السماوي في المنيا والفيوم وفى القاهرة، وفى عام (١٩٨٦) اتهمت مجموعة قريبة منه بالوقوف وراء حادثة إحراق نوادي الفيديو الشهيرة، التي كانت تتم بالتوازي مع الأعمال الإرهابية التي وقعت خلال الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي.

بدءًا من عام ٨٧ بدأ السماوي التراجع عن أغلب أفكاره، فبعدما كان يقول إنه لا يوجد أحزاب في الإسلام، وأن العمل الحزبي حرام شرعًا، وأنه لا يجوز الدخول في العملية الانتخابية، رأيناه محاضرًا في مؤتمرات حزب العمل، ولما سُئل تحجج وقال، إن الحزب اتجه للإسلامية.

لقد سمعته بنفسي في مؤتمر لحزب العمل بالمنيا، كان إبراهيم شكري ومجدي حسين ضيوفًا فيه.. جلس السماوي على يمين المنصة، وبشير محمد كمال، القيادي في الجماعة الإسلامية على الشمال (قتل فيما بعد)، وزعيم الإخوان مصطفى ضاهر، بجواره.

مصطفى ضاهر هاجم بشير، وبشير دافع عن عمر عبد الرحمن، وأما السماوي فانتقد الاثنين، وتحدث عن وجوب الوحدة بين الفتى والشيخ.

رفض السماوي مراجعات الجماعة الفكرية، وقال هذه المراجعات باطلة لا يعتد بها فمراجعة الأفكار تكون من شخص حر طليق،

وليست من شخص مسجون، فمثل هذا الشخص لا يعتد بما ينسب إليه من مراجعات حتى وأن أخرجوه من السجن، والمراجعات تعنى أن هناك عقولا تفكر، وأين العقول التي تفكر من جماهير كثيرة من فتيان الصعيد نفذوا أوامر أمرائهم دون تفكير، فإن شرق أميرهم شرقوا، وأن غرب أميرهم غربوا معه، فهم معه في الهدى والضلال في الشيء ونقيضه.

قضى السماوي سنوات عمره الأخيرة تحت الإقامة الجبرية بمنزله بحي عابدين، وجرى اعتقاله عدة مرات بين الحين والآخر، كان آخرها في نوفمبر ٢٠٠٧ حينما اتهم بمحاولة إحياء جماعة محظورة، وكان السماوي عضوًا في حزب العمل المجمد، وآخر ظهور له كان في شهر مايو من العام ٢٠٠٨ أثناء احتفال أقيم في نقابة الصحافيين المصريين.

السماوي كان يمثل البوابة الرئيسية للتأسيس الفكري للتيار السلفي الجهادي المعاصر، وكان يحرّم التعليم والوظائف في الحكومة، ويحكم على المجتمع بالجاهلية، ولا زال أتباعه حتى الآن يكفرون الحكومة، وبرأيي فإنه ساهم في تأسيس جيل من جماعات التكفير ستظل تعانى منه مصر لقرن مقبل.